في التسليم للعترة الأطهار

آليات الحجاج في خطب الإمام الحسن عليه السلام

Techniques of Argumentation in the Sermons of Imam Al-Hussein Peace be upon him

م.د. بشائر عبد الأمير

جامعة بابل

كلية التربية للعلوم الإنسانية

Lecturer Dr.Bashar Ameer `Abidalsada

College of Education for Humanist Sciences

University of Babylon

ملخص البحث

تؤثر تغير التوجهات الفكرية والفلسفية في القناعات البحثية بتأثيرها في إنتاج المناهج التحليلية وتبنّيها في قراءة النصوص ومتابعة الأفكار، وما حدث من تداعيات بعد موجة الحداثة وما بعدها انعكس على بنية التفكير وآليات التحليل، وكان من بين تلك التداعيات التفكير بالخطاب بعد أن تجاوز العقل البشري عقبتَيْ التفكير بالجملة ومن ثم النصّ.

وكان الحجاج واحدًا من معطيات ذلك التداعي، فكان منهجًا تحليليًا لقراءة النصوص لا من زاوية الدلالة، بل من زاوية كشف المقاصد، ومن ثمّ التحرّك نحو إقناع المُخَاطَب وتوجيهه نحو المقاصد المرجوة من عملية التخاطب بين طرفي الخطاب (المُخَاطِب – المُخَاطَب).

وليكون عمل البحث منتجًا، أجرينا المنهج الحجاجي على متن مبارك من متون تراث أهل بيت النبوة عليهم السلام، ذلك هو خطب الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام؛ محاولين كشف آليات الحجاج وتقنياته في نصوص تلك الخطب، وسُبل توجيهها إلى المخَاطَب وتأثيره فيها تأثير إقناع.

Abstract

By some means or other the change of the intellectual and philosophic prow wreaks havoc on the research viewpoints as they respond to the schools of explication in light of text reading and thoughts tracing . Moreover what repercussions of the modern wave did influences the orbit of intellectuality structure and explication techniques ; the discourse is one of these repercussions after the human mind has surpassed two hindrances ; thinking of the sentence and then the text.

The argumentation comes into fruition as one of such repercussions and moves as an analytic method to read texts not from the angle of semantics but from intension exposing , then it is to proceed to convince the interlocutor and stern him to the meant targets in the acts of communication ; the addresser and the addressee.

For the sake of productivity , we do implement the argumentative method in a sacred context of the prophecy abode heritage (peace be upon them) ; the ceremonies of Imam Al-Hassan Ibin Abitalib as an endeavor to expose the argumentation instruments , its techniques in the texts of these ceremonies and how to stern them to the interlocutor and his response satisfactorily.

... مهاد ...

تعد الخطابة فناً أصيلاً عند العرب يسعى بها الخطباء إلى بيان رؤاهم وأفكارهم واستنهاض همم المتلقين باللغة الموظفة،والصياغة المتبعة،والاسلوب الشيق، فالخطابة مرآة عاكسة لرؤى الخطيب ودافعيته نحو تحقيق هدفه، وللكشف عن مكنون خطب الإمام عليه السلام اخترت الحجاج منهجاً لدراستي لما فيه من آليات استطيع بوساطتها قراءة خطبه وتأملها، ثم بيان قدرته الفذة في التأثير بالمتلقي باستعمال خطاب العقل للوصول إلى حالة الإقناع.

فالحجاج هو خطاب العقل بالدلائل والبراهين،وهو اسلوب ذو مقصد دلالي قائم على توظيف اللغة المعبرة للتأثير في الآخر وتحويل مسار الحوار إلى النتائج التي يريد المخاطِب توجيه المخاطَب نحوها،وهذا ما وجدناه وما سنحاول دراسته في خطب الإمام الحسن عليه السلام. وقد قسّم البحث على مجموعة من المطالب منها:مفهوم الحجاج لغةً واصطلاحاً، وآليات الحجاج:

١. الآليات المنطقية وشبه المنطقية وتشمل:القياس الخطابي، وحجة التعدية، وقياس الاشتمال، والاستدلال بالقرآن والحديث الشريف... الخ.

٢. الأساليب البلاغية وتشمل: الاستعارة الحجاجية والاستفهام والتشبيه... الخ.

٣. الآليات اللغوية وتضم: العوامل والروابط الحجاجية، ثم خاتمة بأهم النتائج التي توصل لها البحث.

مفهوم الحجاج

الحجاج لغة: كثيراً ما تحدث علماء اللغة عن الحجاج في مدوناتهم اللغوية،فلهذه المفردة موقعها وأثرها الواضح في فكرهم وثقافتهم، قال الفراهيدي: «والحُجَّة: وجهُ الظّفر عند الخُصومة والفعل حاججتُه فحججتُه واحتججت عليه بكذا»[١]، ولم يبتعد ابن منظور عن هذا المفهوم كثيراً،إذ قال «الحُجَّة البُرْهان وقيل الحُجَّة ما دُوفعَ به الخصم وقال الأَزهري الحُجَّة الوجه الذي يكون به الظَّفَرُ عند الخصومة وهو رجل مِحْجاجٌ أَي جَدِلٌ والتَّحاجُّ التَّخاصُم وجمع الحُجَّةِ حُجَجٌ وحِجاجٌ وحاجَّه مُحاجَّةً وحِجاجاً نازعه الحُجَّةَ وحَجَّه يَحُجُّه حَجّاً غلبه على حُجَّته وفي الحديث فَحَجَّ آدمُ موسى أَي غَلَبَه بالحُجَّة واحْتَجَّ بالشيءِ اتخذه حُجَّة قال الأَزهري إِنما سميت حُجَّة لأَنها تُحَجُّ أَي تقتصد لأَن القصد لها وإِليها...والحُجَّةُ الدليل والبرهان»[٢]. وبهذا يكون الحجاج قائماً على المخاصمة والعدوان بين طرفين وتقديم احدهما الحجة،الدليل والبرهان لتحقيق الظفر على الخصم.

الحجاج اصطلاحاً: لبيان مفهوم الحجاج بشكل أوسع نستعين بكتب البلاغة في ذلك فقد حدَه أبو هلال العسكري بقوله: «الحجاج هو ظهور الحجة»[٣]، ورأى القرطاجني الكلام منقسم على قسمين أما خبر أو احتجاج بقوله: «لما كان كل كلام يحتمل الصدق والكذب، إما ان يرد على جهة الإخبار والاقتصاص، وإما ان يرد على جهة الاحتجاج والاستدلال»[٤]. وقد وجد الشريف الجرجاني ان الحجاج هو البرهان الصادق، قال: «الحجة ما دل به على صحة الدعوى،وقيل الحجة والدليل واحد»[٥].

ولم يبتعد المفهوم كثيرا عند المحدثين، فقد عده ابو الوليد الباجي علماً «من ارفع العلوم قدراً وأعظمها شأنا لأنه السبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من

المحال، ولولا تصحيح الوضع في الجدال لما قامت حجة ولا اتضحت محجة، ولا علم الصحيح من السقيم ولا المعوج من المستقيم»[٦].

فالحجاج على وفق هذا المفهوم ليس مصطلحاً عابراً،وانما هو علم يقتضي اقامة الحجة بإعطاء الأدلة المستندة إلى الحقيقة، وهو خطاب العقل القائم على الاستدلال بالادلة العقلية والمنطقية للتمييز بين الصحيح والسقيم.

وهو عند طه عبد الرحمن أساس الخطاب، قال «أن الأصل في تكوثر الخطاب هو صفته الحجاجية، بناء على أنّه لا خطاب بغير حجاج»[٧]، وقد عرف الحجاج مستنداً إلى مبدأين أساسيين هما (قصد الادعاء) و (قصد الاعتراض)، إذ قال: «انه كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها»[٨]. وهذا المفهوم قائم على عدم إلغاء حق الآخر في التعبير عن رؤيته، سلباً أو إيجاباً. وهو عند عبد الهادي بن ظافر الشهري: «الآلية الأبرز التي يستعمل المرسل اللغة فيها وتتجسد عبرها إستراتيجية الإقناع»[٩]. أي هو آلية تواصلية لغوية يسعى المرسل فيها إلى تحقيق غايته الإقناعية عبر اللغة الموظفة.

لقد تعرفنا فيما سبق على مفهوم الحجاج لغة واصطلاحاً،سنتعرض فيما يأتي إلى الحديث عن آلياته مطبقين تلك الآليات على خطب الإمام الحسن عليه السلام، لما لهذه الخطب من أهمية تواصلية اقناعية،وقد قسمت تلك الآليات على مجموعة أقسام هي:

أولاً: الآليات المنطقية وشبه المنطقية

وتقسم بدورها على أقسام عدة هي:

أ) القياس الخطابي

وهو عملية استدلال عقلي إذ يقوم الخطيب «بالربط بين شيئين على أساس جملة من الخصائص المشتركة بينهما للوصول إلى استنتاج ما، بألفاظ فيها شيء من الالتباس والاشتراك،بناء على أن القياس يقوم على التجربة، التي ينطق بها المتكلم لتشكيل صورة استدلالية»[١٠]، على وفق هذا الكلام فالقياس الخطابي هو قياس مضمر،إذ إنه لا يقوم على أساس الخطاب المباشر وانما هو قائم على الاستدلال عبر مجموعة من الاحتمالات[١١]، التي يحاول الخطيب التلميح بها للوصول إلى النتيجة المتوخاة،فهو «خطاب قائم اما على أساس حذف المقدمتين وإظهار النتيجة او على إظهار المقدمتين وإخفاء النتيجة»[١٢].

ومن توظيف الإمام الحسن عليه السلام لهذا النوع من الحجاج، ما قاله في استنفار الناس للجهاد: «فإنّي لا أقول لكم إلاّ ما تعرفون أنّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب أرشد الله أمره وأعزّ نصره بعثني إليكم، يدعوكم إلى الصواب وإلى العمل بالكتاب والجهاد في سبيل الله وإن كان عاجل ذاك ما تكرهون، فإنّ في آجله ما تحبّون إن شاء الله. وقد علمتم أنّ عليّا صلّى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وحده وأنّه يوم صدق به لفي عاشرة من سنّه ثمّ شهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله جميع مشاهده وكان من اجتهاده في مرضاة الله وطاعة رسوله وآثاره الحسنة في الإسلام ما قد بلغكم. ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وآله راضيا عنه حتّى غمضه بيده وغسله وحده...»[١٣].

أحسّ الإمام عليه السلام ان إقناع الناس بالجهاد يتطلب منه توظيف حجة قوية للتأثير بهم حرصا منه عليهم وعلى مبادئ الدين الإسلامي،فالجهاد يعني بذل النفس من

أجل قضية لابد ان تكون واضحة للمجاهد من جهة، ومن جهة أخرى لابدّ ان يكون مؤمنا بها وبالقائد الذي سيقاتل تحت لوائه لذا جاء خطاب الإمام عليه السلام على وفق هاتين المقدمتين:

١. ان هذه الدعوة تدعوكم إلى الصواب، وإلى العمل بالكتاب، والجهاد في سبيل اللّه.

٢. الداعي لهذا الأمر معلوم لديكم فهو علي بن أبي طالب عليه السلام المصدق بالرسالة وهو في سن العاشرة، وقد شهد مع الرسول صلى الله عليه وآله جميع مشاهده وكان مرضيا عند الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وآله حتى غمض عيني رسول الله بيده.

ن: يمكن الاستدلال بما سبق النتيجة التالية تلبية الدعوة للجهاد لأنها صادرة ممن رضى عنه الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وآله فلابد ان يكون من خاصمه ضالاً ليس على هدى لأنه عادى من قبله الله ورسوله، فالملتحق مع الإمام ناجٍ، ومن تخلف هالك.

ب) حجة التناقض وعدم الاتفاق

وهي حجة قائمة على بنية منطقية واضحة،إذ يعمل المحتج على «دفع إطروحة ما مبيناً انها لا تتفق مع الأخرى»[١٤] فالمحتج في هذه الحجة يسعى إلى إقناع المخاطَب ببيان قوله وفعله المتناقضين، وكثيراً ما نجد مثل هذه الحجة في خطب الإمام الحسن عليه السلام، ومنها قوله في مبايعة الناس الإمام علي عليه السلام للخلافة ومن ثم نقض العهد، قال: «ثم والله ما دعاهم إلى نفسه، ولقد تداك الناس عليه تداك الإبل الهيم عند ورودها، فبايعوه طائعين، ثم نكث منهم ناكثون، بلا حدث أحدثه ولا خلاف أتاه، حسدا له وبغيا عليه».

ينطلق الإمام عليه السلام من اطروحة مفادها ان الإمام علي عليه السلام لم يدعُ أو يجبر الناس على مبايعته الا انهم تدافعوا مدافعة الإبل العطشى عند الورود لمبايعته بإرادة تامة، الا انهم سرعان ما نقضوا هذه البيعة من دون ان يكون هناك سبب للنقض، فنقض العهد مع إمام سبق وان شهدوا له بالولاية يمثل تمردا ودعوة إلى العصيان، وهو بهذا اتخذ من أفعالهم المتناقضة حجة عليهم ودليلاً ملموساً لمن يحاول ان يشابههم بالقول والفعل.

ج) حجة بالتعدية

وهي من الحجج شبه المنطقية التي تعتمد على العلاقات الرياضية[١٥]، فهي تقوم على أساس«استنتاج علاقات انطلاقا من توظيف قيمة عنصر ثالث يتم المرور عبره لتأكيد صدق العلاقة بين عنصرين الأول والثاني»[١٦]، ويمكن توضيحها أكثر على وفق المثال الشائع (عدو عدوي صديقي) الذي ينتج عنه (ان صديق عدوي عدوي)[١٧]، ومن أمثلة هذا النوع من الحجاج في خطب الإمام عليه السلام قوله في بيان فضل أهل البيت ومنزلتهم **((أيها الناس! إعقلوا عن ربكم، ان الله عز وجل ﴿اصْطَفى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْراهِيمَ وَآلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ فنحن الذرية من ادم، والأسرة من نوح، والصفوة من إبراهيم، والسلالة من إسماعيل، وآل محمد صلى الله عليه واله، نحن فيكم كالسماء المرفوعة، والأرض المدحوة، والشمس الضاحية، وكالشجرة الزيتونة، لا شرقية ولا غربية التي بورك زيتها النبي أصلها، وعلي فرعها، ونحن والله ثمرة تلك الشجرة، فمن تعلق بغصن من أغصانها نجا، ومن تخلف عنها فإلى النار هوى))**[١٨].

يسعى الخطيب في هذه الحجة إلى بيان أحقية أهل البيت بالخلافة لمنزلتهم من أنبياء الله عامة ومن رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاصة، فقد بنيت حجة التعدية على

المماثلة فكما الأنبياء وذريتهم صفوة الله كذلك ذرية الرسول الأعظم ﷺ مصطفون ومخصوصون بالولاية لأنهم ثمرة تلك الشجرة التي خصها الله ﷻ بالذكر، فمن تعلق بها نجا ومن تخلف عنها هلك.

د) حجة الترجيح

وهي من الحجج شبه المنطقية التي يسعى الخطيب بها إلى بيان أمرين وترجيح احدهما على الآخر أي اختيار من بين الاحتمالين أفضلهما سواء أتعلق الأمر بنا أم بغيرنا،وذلك بعد عملية إجراء موازنة أساسها القيم وما تتفاضل بها الأشياء بحسب الغاية والنتيجة المتوخاة(١٩).

وقد وظف الإمام الحسن عليه السلام هذا النوع من الحجج كثيرا في خطبه، منها ما قاله في بيان نقض المرادي والكندي ميثاقهما وتقاعسهما عن الجهاد جاء فيها «هذا الكندي قدمته بين يدي اللّه لمحاربة عدوّ اللّه وابن آكلة الأكباد فبعث إليه بمال ووعده ومنّاه حطام الدّنيا ومتاعها فباع دينه وآخرته بدنيا زائلة غير باقية وقد توجّه إليه، وقد أخبرتكم مرّة أخرى انّه لا وفاء لكم ولا ذمّة ولا خير عندكم وأنّكم عبيد الدّنيا. واني موجّه مكانه رجلا وإني لأعلم انّه يفعل فعل صاحبه غير مفكّر في عاقبة أمره ومرجعه ولا مراقب للّه في دينه»(٢٠). بنيت هذه الحجة على مقدمتين هما:

١. بعث الإمام الحسن عليه السلام الكندي لمحاربة عدوّ اللّه و ابن آكلة الأكباد.
٢. غره ابن آكلة الأكباد بالأموال،ومناه حطام الدنيا.

ن: رجح الكندي الاختيار الثاني فباع دينه بدنيا زائلة غير باقية.

وما يلاحظ ان الإمام عليه السلام لم يكتف ببيان فعل الكندي وانما تنبأ بما سيفعله المرادي، من ترجيح الدنيا الزائلة على الآخرة ونعيمها، بقوله: ((**اني موجّه مكانه**

رجلا وإني لأعلم انّه يفعل فعل صاحبه غير مفكّر في عاقبة أمره ومرجعه ولا مراقب لله في دينه)).

هـ) حجة الاشتمال

يقوم هذا النوع من الحجاج على مبدأ رياضي وهو «ان ما ينسحب على الكلّ ينسحب على الجزء من هذا الكلّ»[٢١]، فهذه الحجة قائمة في جوهرها على رؤية كمّيّة فالكل يتضمّن الجزء وهو أهم بكثير من الجزء ولذلك تعدّ قيمة الجزء مناسبة لما تمثله بالنسبة إلى الكلّ[٢٢].

وقد وردت في خطب الإمام الحسن عليه السلام في مخاطبته للذين نكثوا بيعته ولم يطيعوه، قال: **((غررتمونى كما غررتم من كان من قبلى، مع أي إمام تقاتلون بعدى؟ مع الكافر، الظالم الذى لم يؤمن بالله ولا برسوله قط، ولا اظهر الإسلام، هو وبنو أمية إلا فرقا من السيف ولو لم يبق لبنى أمية إلا عجوز درداء، لبغت دين الله عوجا))**[٢٣].

يبني الإمام عليه السلام حجته على مبدأ الاشتمال وهو ان معاوية وبني أمية ظلمة لم يؤمنوا بدين الله سبحانه وتعالى إيمانا حقيقيا وإنما كان خوفا من السيف، لذا هم يبغون دين الله عوجا، فالإمام قاسَ فعل معاوية وهو جزء من بني امية بفعل الكل، ثم سحب هذا الحكم على جزء آخر وهو العجوز الدرداء، أي ان بني أمية قاطبة لو هيأ لها الأمر لبغت دين الله عوجا،وهي حجة قوية يسعى الإمام عليه السلام بها إلى تنبيه الناس وإيقاظهم من غفلتهم وذلك بعد إتباعهم لهذه الفئة الضالة الكافرة.

و) الحجة بالتعريف

وهو آلية حجاجية يسعى بها الخطيب إلى التعريف عن الشيء المراد إثبات أحقيته ليكون حجة على الآخر فهو «وسيلة من وسائل إثبات الشيء، إذ يجعل من

حقيقته وماهيته دليلاً على الحكم الذي يريد إثباته لذلك الشيء»[٢٤]. ونجد هذه الحجة واضحة في خطب الإمام الحسنعليه السلام وخاصة في بيان أحقية أهل البيت عليهم السلام بالخلافة وانهم ورثة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، قال: **من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمّد النبي**صلى الله عليه وآله، ثم تلا هذه الآية، قول يوسف ﴿**وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ**﴾ **أنا ابن البشير، وأنا ابن النذير، وأنا ابن الداعي إلى الله، وأنا ابن السراج المنير، وأنا ابن الذي أرسل رحمة للعالمين، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً وأنا من أهل البيت الذين افترض الله عزّ وجل مودتهم وولايتهم**، فقال فيما أنزل على محمّدصلى الله عليه وآله ﴿**قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾[٢٥].

فالإمام الحسنعليه السلام أراد إثبات أحقيته بالخلافة والولاية عبر التعريف بنفسه وانتسابه إلى الرسولصلى الله عليه وآله والإمام عليعليه السلام، ومن ثم التعريف بنفسه عن طريق القرآن الكريم الذي يمثل حجة قوية لأنه خطاب سلطوي ديني، يمثل انموذج للحق لا يمكن الشك به.

ز) الحجة بالشاهد القرآني والحديث النبوي

يمثل القرآن والحديث حجة قوية على المسلمين يخضع معظم الناس إلى التسليم والخضوع لها بوصفهما -القران والحديث النبوي- سلطة دينية قوية سبق أن سلّم الناس بها لذا لا يحق لأحد منهم أن يعترض عليها أو يشك بها بأي شكل من الأشكال، وتعد عند ارسطو من الحجج الجاهزة التي «تكتسب قوتها من مصدرها ومن مصادقة الناس عليها وتواترها،وتدخّل الخطيب ينحصر في اختيارها وتوجيهها إلى الغرض المرصود للاستدلال عليه»[٢٦]، ومما يلاحظ ان الإمام عليه السلام

عمل على توظيف الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في خطبه لغايات متعددة سنحاول ذكر بعض منها.

١) **الحجة بالقران الكريم**: وقد جاء في خطب الإمام الحسن عليه السلام في أغراض عدة منها: النصح والإرشاد، قال: ((**أيها الناس إنه من نصح لله وأخذ قوله دليلاً هُدي للتي هي أقوم وفقه الله للرشاد وسدده للحسنى، فإن جار الله آمن محفوظ وعدوه خائف مخذول، فاحترسوا من الله بكثرة الذكر، واخشوا الله بالتقوى، وتقربوا إلى الله بالطاعة فإنه قريب مجيب، قال الله تعالى** ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ **فاستجيبوا لله وآمنوا به فإنه لا ينبغي لمن عرف عظمة الله أن يتعاظم...**)).[٢٧]

ان خوف الإمام علي عليه السلام رعيته دعاه إلى وعظهم وإرشادهم بمجموعة من النصائح التي تقربهم إلى الله وتخرجهم من دائرة التيه والضلالة، ولكي يكون تأثير الكلام أقوى في النفوس، جاء بحجة من القرآن متناسبة مع ما رام عرضه وتقريبه لهم. وأيضا جاء الاستشهاد بالقرآن لبيان قضية الوصية بالإمامة، قال: ((**ولولا محمد صلى الله عليه وآله والأوصياء من ولده كنتم حيارى كالبهائم لا تعرفون فرضا من الفرائض وهل تدخل قرية إلا من بابها، فلما من الله عليكم بإقامة الأولياء بعد نبيكم صلى الله عليه وآله قال الله عز وجل** ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ **وفرض عليكم لأوليائه حقوقا فأمركم بأدائها إليهم ليحل لكم ما وراء ظهوركم من أزواجكم وأموالكم ومأكلكم ومشربكم...**)).[٢٨]

جاء اختيار هذه الآية دليلا دامغا لا يقبل الشك بأحقية الإمام علي عليه السلام وأولاده عليهم السلام بالخلافة لأنها ارتبطت بحادثة تأريخية شهدها مجموعة كبيرة من الناس،لذا فان تفسيرها ثابت لديهم لا يمكن لأحد الشك فيه.

٢) **الاستشهاد بالحديث النبوي**: تأتي مرتبة الحديث من حيث قوة الحجة وتأثيرها في المتلقي بعد مرتبة القرآن الكريم لأن الرسول ﷺ ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[٢٩] وقد جاء الاستشهاد به لبيان وجوب مودة أهل البيت عليهم السلام وأحقيتهم بالإمامة، قال الإمام الحسن عليه السلام: ((... **واعلموا أن من يبخل المودة فانما يبخل عن نفسه، إن الله هو الغني وأنتم الفقراء إليه، فاعملوا من بعد ما شئتم** ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٣٠] ... **سمعت جدي ﷺ يقول: خلقت أنا من نور الله، وخلق أهل بيتي من نوري، وخلق محبيهم من نورهم، وسائر الناس في النار**))[٣١].

مما يلاحظ ان الإمام عليه السلام لم يجبر أحداً على مودتهم وانما عرض أمرين احدهما مودة أهل البيت عليهم السلام[٣٢] والفوز بالجنة، والآخر بغضهم الذي ينتج عنه دخول النار مستندا بذلك على حجة قوية لا تقبل الشك أو الإنكار لأنها صادرة من الرسول الأعظم ﷺ وقد جاء بلفظة جدي ليكون تأثيرها أقوى وأيضا تمثل إشارة إلى كونه من المقصودين بالمودة.

وقد جاء الاستشهاد بالحديث لغايات أخرى منها تأكيد كون الحسن والحسين عليهما السلام إمامين منصبين من قبل الله سبحانه وتعالى على لسان نبيه ﷺ[٣٣]، ومنها أيضاً إثبات الحجة على معاوية بأن الرسول ﷺ لم يكن راضياً عنه ولا عن أبيه، قال: ((... **وأنشدكم بالله! هل تعلمون ان ما أقول حقا أنك يا معاوية كنت تسوق بابيك على جمل أحمر، ويقوده أخوك هذا القاعد، وهذا يوم الأحزاب**)) فلعن رسول الله ﷺ الراكب والقائد والسائق، فكان أبوك الراكب وأنت يا أزرق السائق وأخوك هذا [القاعد] القائد؟[٣٤] هذه الخطبة جاءت رداً على معاوية وبعض مريديه ممن حاولوا الإساءة إلى الإمام عليه السلام، لذا نجد الإمام قلب الحجة عليهم فمن يستحق الإساءة والذم من جاء لعنه على لسان الرسول ﷺ وهو معاوية.

ح) الاستشهاد بالشعر

الشعر ديوان العرب وسجل حافل بمآثرهم وأيامهم،وهو وسيلة شديدة الإقناع لدى المخاطِب لما له من أهمية في الخطبة إذ يسهم في بنائها من حيث العمل على دعم الصورة بما يشيعه من إغراب وإحالة إلى عالم خاص كما يدعم الصوت والإيقاع[٣٥]. وقد وظف الإمام عليه السلام الشعر للرد على الوليد بن عقبة، قال عليه السلام: **لا ألومك أن تسب عليا وقد جلدك في الخمر ثمانين سوطا، وقتل أباك صبرا بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله في يوم بدر، وقد سماه الله عز وجل في غير آية مؤمنا وسماك فاسقا، وقد قال الشاعر فيك وفي علي عليه السلام:**

أنـزل الله في الكـتـاب علينا ... في عـلـيّ وفي الـولـيـد قـرآنـا
فـتـبـوأ الـولـيـد مـنـزل كفر ... وعـــلـي تـبـــوأ الايـــمـانـــا
ليس من كـان مؤمنا يعبد الله ... كـمـن كـــان فـاسـقـا خـوانـا
سوف يدعى الوليد بعد قليل ... وعـــلي إلى الجـــزاء عـيـانـا
فـعـلي يجـــزى هـنـــاك جـنـانـا ... وهناك الوليد يجزى هوانا[٣٦]

سلط الإمام الحسن عليه السلام الضوء على فكرة غاية في الأهمية وهي ان مبغضي الإمام علي عليه السلام هم من الكفرة والمنافقين الذين لم يرتدعوا بالإسلام فكانوا ممن أقيم عليهم الحد أو قتلوا لكفرهم، لذا جاء حجته في عدم لوم من سب الإمام علي عليه السلام مستندة إلى مكانة الإمام علي عليه السلام ومنزلته فهو في كتاب الله مؤمن والوليد فاسق، ولان المخاطب كافر ومنافق جاء الحجاج مستند إلى حجة أخرى وهي قول الشاعر فان حاول تفسير الآية بغير صورتها الحقيقية فانه لا يستطيع إنكار ما جاء شعرا واضحاً، فالشاعر وضح بالاسم ان الوليد فاسق وانه سوف يجزى الهوان يوم القيامة.

ط) قياس التمثيل

وهو قائم على رسم صورة حسية لتقريب الحقيقة إلى المخاطَب، وإيصال الفكرة المراد بثّها، وهو كما عرفه الألمعي: «إلحاق احد الشيئين بالآخر، وذلك بأن يقيس المستدل الأمر الذي يدعيه على أمر معروف عند من يخاطبه، أو على أمر بديهي لا تنكره العقول ويبين الجهة الجامعة بينهما»[٣٧].

وقد وظفها الإمام عليه السلام في توضيح صورة من ينصب نفسه للخلافة من دون ان يكون مؤهلا لذلك، قال: ((**اما الخلافة فلمن عمل بكتاب الله وسنة نبيه، ليست الخلافة لمن خالف كتاب الله، وعطل السنة، إنما مثل ذلك مثل رجل أصاب ملكاً فتمتع به وكأنه انقطع عنه، وبقيت تبعاته عليه**))[٣٨].

ي) حجة التعليل

وهو بيان السبب عن طريق توظيف اللغة، ربط الأفكار، والوصل بين أجزاء الكلام، بجعل بعضها سبباً للبعض الآخر، إذ ان الحكم لا يخلو من علة في الواقع، وان النفس تقتنع للأحكام المعللة بخلاف غيرها[٣٩]، فإثبات الحجة عن طريق التعليل تعني إثبات حكم أو نفيه أو وجوده أو عدمه، وذلك بإظهار العلة التي تبرز مشروعيته[٤٠]، وقد جاءت في خطب الإمام الحسن عليه السلام لغايات منها الوعظ والإرشاد قال عليه السلام: ((**اتقوا الله عباد الله،وجدوا في الطلب، وتجاه الهرب، وبادروا العمل قبل مقطعات النقمات، وهادم اللذات، فان الدنيا لا يدوم نعيمها، ولا يؤمن فجيعتها، ولا تتوقى مساويها، غرر حائل، وسناد مائل، فاتعظوا عباد الله بالعبر، واعتبروا بالأثر، وازدجروا بالنعيم ...**)).[٤١]

إن أعمال الإنسان مبنية على غايات وأسباب،والإنسان بطبيعته يسعى إلى معرفة العلة من أعماله،وهذا ما وضحه الإمام عليه السلام، فتقوى الله والهرب من المعاصي

وعمل الخير قبل مجيء الموت، يحتاج إلى علة واضحة ليؤمن بها الإنسان ويسعى إلى العمل بها، وهذه العلة تتمثل بأن الدنيا زائلة لا دوام لها ولا يمكن تجنب مساوئها لذا علينا الإفادة مما سبقنا من عبر وآثار لأمم كانت قبلنا.

ومنها ما جاء في بيان العلة في عقد الصلح مع معاوية، قال عليه السلام: ((**وقد تركت الأمة عليا عليه السلام وقد سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي عليه السلام: أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير النبوة فلا نبي بعدي، وقد هرب رسول الله صلى الله عليه وآله من قومه وهو يدعوهم إلى الله، حتى فر إلى الغار، ولو وجد عليهم أعوانا ما هرب منهم، ولو وجدت أنا أعوانا ما بايعتك يا معاوية ...**)).[٤٢]

ان الإمام عليه السلام أحق بالخلافة من معاوية وغيره، فعقد الصلح بينه وبين معاوية لابد ان يكون مستندا إلى علة قوية، وقد أعطى مثالا حسيا واضحا بمشابهة ما حدث مع الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بما حدث معه فلجوء الرسول إلى الغار ومبايعة الإمام لمعاوية جاء بسبب عدم وجود الناصر والمعين، بعد ان دعا كل منهما الناس إلى الالتزام بأوامر الله والابتعاد عما نهى عنه.

ك) الحجة بالحكمة

الحكمة هي ((**كل كلام وافق الحق**))[٤٣]، فهي نتاج خبرة الإنسان وعلمه وتجاربه، ويشترط بالحكمة ان ترث فعلا صحيحا، لأنها مبنية على حقائق، والغاية من إصدار الحكمة هي جلب المصلحة للآخر عبر نصحه وإرشاده، ومن أمثلتها في خطب الإمام عليه السلام ما قاله في التوجيه الاجتماعي: ((**اعلموا أن الحلم زين، والوقار مودة، والصلة نعمة، والإكثار صلف والعجلة سفه، والسفه ضعف، والقلق ورطة، ومجالسة أهل الدناءة شين، ومخالطة أهل الفسوق ريبة**))[٤٤].

صاغ الإمام عليه السلام مجموعة من المعاني التي تنم عن تجربة وثقافة باسلوب بلاغي جميل، ليعي المتلقي مجموعة القيم الخلقية والإنسانية والاجتماعية التي يود الإمام إيصالها إليه فهذه «المعاني تعدّ رافداً مهماً للعملية الحجاجية / الإقناعية؛ لأنها متى جاءت في الخطاب، كانت بمثابة الدعائم والركائز التي تعجّل بتبليغ الخطاب».(٤٥)

ل) الحجة الخبرية (النقلية)

يعتمد الخطيب في هذه الحجة على مجموعة من الأحداث التأريخية الواقعية المسلّم بها، والتي توارثها أو شهدها مجموعة من الأشخاص وذلك ليتخذ منها دليلاً لما يدعيه من طروحات، وتنماز هذه الأحداث بقيم مجتمعية تحظى باحترام الأفراد واهتمامهم(٤٦).

ومن أمثلتها في خطب الإمام عليه السلام قوله: **ولما نزلت** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ فقالوا: يا رسول الله كيف الصلاة عليك؟ فقال صلى الله عليه وآله: **قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد. فحق على كل مسلم أن يصلي علينا فريضة واجبة. وأحل الله خمس الغنيمة لنا كما أحل له وحرم الصدقة علينا كما حرم عليه صلى الله عليه وآله. فأخرج جدي صلى الله عليه واله وسلم يوم المباهلة من الأنفس معه أبي، ومن البنين أنا وأخي الحسين، ومن النساء فاطمة أمي، فنحن أهله ولحمه ودمه، ونحن منه وهو منا. وهو يأتينا كل يوم عند طلوع الفجر فيقول: الصلاة يرحمكم الله، وتلى** ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾(٤٧).

وظف الإمام عليه السلام مجموعة من الأحداث الخبرية التي شهدها معظم من عاصر الرسول صلى الله عليه وآله كالصلاة عليه وعلى أهل بيته وآية الخمس ويوم المباهلة وآية التطهير، لتكون بمثابة الدليل الواضح والبرهان الساطع الذي لا يقبل الشك لدى من أنكر

الولاية وأحقية الخلافة لأهل البيت ومن ثم مشروعية وأحقية الإمام الحسن عليه السلام بالخلافة.

ثانياً: الآليات البلاغية

تمثل البلاغة آلية من آليات الحجاج وذلك لاعتمادها على استمالة المتلقي والتأثير فيه عن طريق الحجاج بالصور البيانية والأساليب الجمالية، والآليات البلاغية كثيرة والبحث لا يتسع لها جميعاً لذا سنتحدث عن أكثرها توظيفاً في خطب الإمام عليه السلام، ومنها:

١) المذهب الكلامي: ويسمى بـ «الاحتجاج النظري»[٤٨]، أو «الجام الخصم بالحجة»[٤٩]، وقد عرفه الزركشي بقوله: «هو الاحتجاج على المعنى المقصود بحجة عقلية تقطع المعاند له فيه»[٤٩]، وكثيراً ما يرد هذا النوع من الحجاج عن طريق أداة الشرط (لو)، وقد وردت في خطب الإمام الحسن عليه السلام كثيراً منها قوله: ((**أيها الناس إن معاوية زعم أني رأيته للخلافة أهلا، ولم أر نفسي لها أهلا، وكذب معاوية أنا أولى الناس بالناس، في كتاب الله، وعلى لسان نبي الله، فاقسم بالله لو أن الناس بايعوني وأطاعوني ونصروني لأعطتهم السماء قطرها، والأرض بركتها، ولما طمعت فيها يا معاوية**))[٥٠].

جاء الحجاج هنا بصورة قياس اقتراني، إذ اقترن امتناع الجواب لامتناع الشرط، فامتناع السماء والأرض عن العطاء، وطمع معاوية بالخلافة، اقترن بشكل مباشر بعدم مبايعة الناس للإمام عليه السلام وتخلفهم عن نصرته، وهي تؤدي إلى نتيجة حتمية هي تحول الخلافة إلى معاوية ليس ضعفا من الإمام أو عدم مقدرة منه على إدارة

الأمور وانما لتخلي الناس عن إمام منصوص عليه بالطاعة والولاء من قبل الله والرسول الأعظم محمدﷺ.

٢) الاستعارة الحجاجية: تعد الاستعارة وجهاً بلاغياً يشكل نوعاً من الحجج المؤسسة لبنية الواقع[٥١]، وبها يقصد المتكلم توجيه خطابه لتحقيق أهدافه الحجاجية، فهي النوع الأكثر انتشاراً من بين الوسائل اللغوية ذلك لارتباطها بمقاصد المتكلمين وبسياقاتهم التواصلية والتخاطبية[٥٢]. ومن أمثلتها في خطب الإمام عليه السلام قوله لابن الزبير: ((**ثم بايعوا أمير المؤمنين صلوات الله عليه فسار إلى أبيك وطلحة حيث نكثا البيعة وخدعا عرس رسول الله ﷺ فقتلا عند نكثهما بيعته وأتي بك أسيراً تبصبص بذنبك فناشدته الرحم أن لا يقتلك فعفا عنك، فأنت عتاقة أبي وأنا سيدك وأبي سيد أبيك، فذق وبال أمرك**))[٥٣].

فاثبات الحجة على الخصم جاء مبنياً على حادثة واقعية قد شهدها الخصم كما رآها من كان حاضراً، ولاستعادة تلك الصورة وظف الإمام عليه السلام الاستعارة (تبصبص بذنبك) مشبهاً الزبير بالكلب المحرك لذنبه، يقال إذا بصبص الكلب بذنبه فانه يطمع في الحصول على شيء لذا استعار الإمام عليه السلام تلك الصفة للكلب والصقها بالزبير لانه كان ينظر إلى الإمام علي عليه السلام طمعاً في العفو.

٣) الاستفهام: وهو من الآليات البلاغية للحجاج إذ يقوم بتوجيه «المرسل إليه إلى خيار واحد... ومن ثمّ فإن المرسل يستعملها للسيطرة على مجريات الأحداث بل وللسيطرة على ذهن المرسل إليه، وتسيير الخطاب تجاه ما يريده المرسل»[٥٤]، لا عن طريق الإجبار وانما عن طريق عملية الاستدلال بحيث انه يشركه بحكم قوة الاستفهام وخصائصه[٥٥]. وينقسم الاستفهام على قسمين حقيقي ومجازي، ودراستنا ستقتصر على القسم الثاني الذي يخرج بدوره إلى غايات بلاغية وهي:

أ) الاستفهام الإنكاري: وهو نوع من أنواع الاستفهام المجازي يوظفه الخطيب لينكر على المتلقي إنكاره لأمر واضح لاشك فيه،ويأتي ذلك عن طريق تنبيهه «حتى يرجع إلى نفسه،فيخجل أو يرتدع عن فعل ما هم به»[٥٦]. وهو نوعان:

١. **التوبيخ**: وهو عملية إنكار فعل الآخر لأنه لا ينبغي ان يصدر منه، فيتم محاججته عن طريق لومه بشدّة على فعله ومن ذلك ما قاله الإمام الحسن عليه السلام منكراً وموبخاً الزبير حينما افتخر عليه قال: ((... **أ إياي تعير وعلي تفتخر، ولم تك لجدك في الجاهلية مكرمة إلا تزوجه عمتي صفية بنت عبد المطلب فبذخ بها على جميع العرب وشرف بمكانها**))[٥٧]. فالاستفهام هنا جاء توبيخياً لمن أنكر منزلة الإمام ونسبه مع علمه انه إلى اشرف البيوتات في مكة والمدينة، فهو ابن سيد سادات العرب الذين طهرهم الله ولم يجعل بهم شيئاً يعابون به، وقد قابل الإمام نسبه بنسب ابن الزبير الذي لم يكن لهم شيئاً يتفاخرون به إلى ان تزوج جده من صفية عمة الإمام الحسن عليه السلام.

٢. **التكذيب**: وهو احد نوعي الاستفهام الإنكاري، يأتي به الخطيب للتأكيد على «ان الخبر كذب بالقطع عليه»[٥٨]. وقد عمد الإمام عليه السلام إلى هذا الاسلوب لإيقاف كل من حاول الزعم انه تنازل عن الخلافة لمعاوية لأنه وجده اهلاً لها قال: ((**نحن أكرم أهل الأرض زنداً، لنا الشرف الثاقب والكرم الغالب، ثم تزعم أني سلمت الأمر لمعاوية فكيف يكون ذلك؟**))[٥٩]. كذَّب الإمام عليه السلام قول الزبير الذي ادعى ان الإمام عليه السلام سلَم الخلافة طواعية وضعفاً منه لمعاوية، عبر الاستفهام التكذيبي، فقد قدم الإمام لحجته بمقدمة تمثلت في التعريف عن نفسه، وبيان منزلته ومنزلة عشيرته، لتكون النتيجة كيف من علت مكانته ومنزلته ومن هو أحق بالخلافة ان يتنازل عنها ضعفاً.

ب) التقرير: وهو دفع المتلقي إلى الإقرار بشيء يعرفه، أو باستطاعته معرفته حسياً، أو فكرياً، منفياً كان، أو مثبتاً.[٦٠] ومن أمثلته في خطب الإمام ما قاله عليه السلام في إفحام معاوية: **أ فعلي تفتخر أنا ابن عروق الثرى أنا ابن سيد أهل الدنيا أنا ابن من رضاه رضى الرحمن و سخطه سخط الرحمن، هل لك يا معاوية من قديم تباهي به أو أب تفاخرني به قل لا أو نعم أي ذلك شئت فإن قلت نعم أبيت و أن قلت لا عرفت،** قال معاوية: فإني أقول لا تصديقا لك، فقال الحسن عليه السلام: **الحق أبلج ما يحيل سبيله والحق يعرفه ذوو الألباب**[٦١].

لم يكن سؤال الإمام عليه السلام من باب توضيح أمر لا يعرفه وانما الغاية من ذلك دفع الخصم إلى الإقرار والاعتراف بما جاء في السؤال (هل لك يا معاوية؟) وهنا تكمن قوة الحجة، فحجة الإمام عليه السلام جاءت على وفق المخطط الآتي:

ليس لديك قديم تباهي به	الإقرار بها يؤدي إلى نتيجة مهمة وهي ان الإمام له قديم يباهي به
ليس لديك أب تفاخر به	وله أب يفاخر به، فهو ابن عروق الثرى وابن سيد أهل الدنيا

وبما ان الخصم أقرّ بذلك، لذا لا يحق له الفخر والتباهي على الإمام عليه السلام فانتفاء علة التفاخر يؤدي إلى انتفاء ما سواها.

ج) التعجيز: وهو «أمر المخاطب بما يعجز عنه إظهاراً لضعفه»[٦٢]، وقد ورد في خطبة الإمام عليه السلام التي رد بها على عتبة بن أبي سفيان قال: ((**وأما وعيدك إياي أن تقتلني، فهلا قتلت الذي وجدته على فراشك مع حليلتك، وقد غلبك على فرجها وشركك في ولدها حتى الصق بك ولدا ليس لك ويلا لك لو شغلت نفسك بطلب**

ثأرك منه كنت جديرا، ولذلك حريا، إذ تسومني القتل وتوعدني به ...))[٦٣].
فالإمام عليه السلام يطلب من عتبة بن أبي سفيان أمراً تعجيزياً لم ولن يستطيع فعله، وذلك لتكون عليه حجة،فالذي لم يثأر لشرفه ويقتل من دنس عرضه كيف يقتل شخصاً آخر، وهو بذلك عجزه عن فعل القتل.

د) **التحقير والتهوين**: وهو ان يوظف الخطيب اسلوب الاستفهام لغرض الحطّ من شأن المقابل، وهو بذلك يتخذ حجة عليه لأن يرتدع ويعي خطأه. قال الإمام عليه السلام للوليد بن عقبة عند تطاوله على الإمام عليه السلام وبيان سبب بغضه للإمام علي عليه السلام: **((وما أنت وذكر قريش وإنما أنت ابن علج من أهل صفورية اسمه ذكوان، وأما زعمك أنّا قتلنا عثمان فو الله ما استطاع طلحة، والزبير، وعائشة، أن يقولوا ذلك لعلي بن أبي طالب فكيف تقوله أنت؟ ولو سألت أمك من أبوك إذ تركت ذكوان فألصقتك بعقبة بن أبي معيط ...))**[٦٤].

فحجة الإمام عليه السلام قائمة على أساس كشف السبب من بغض الإمام علي عليه السلام فالمبغض إنسان فاسق شارب للخمر لا نسب له، ولا ينتمي إلى قريش فمن امتلك هذه الصفات يحتقر ولا يعاب على ما يقول، لذا وظف الإمام اسلوب الاستفهام الذي خرج لغاية التحقير والتهوين من شأن المقابل، ليثبت حجته ويقويها، وهذا ما جاء أيضا في قوله (فكيف تقوله أنت؟) أي من أنت حتى تقول مثل هذا القول استهانة به، فكلامه ليس له شأن يذكر كمكانته ومنزلته.

هـ) **التعجب**: وهو التقليل من شأن المخاطَب عن طريق التعجب من فعله، وهذا ما جاء في قول الإمام عليه السلام للمغيرة بعد ان تطاول عليه بالكلام: **((وزعمت لو أنك كنت بصفين بزعارة قيس وحلم ثقيف فيما ذا ثكلتك امك أبعجز عند المقامات، وفرارك عند المجاحشات، أما والله لو التفت عليك من أمير المؤمنين**

الأشاجع لعلمت أنه لا يمنعه منك الموانع، ولقامت عليك المرنات الهوالع))[٦٥].

فالإمام عليه السلام يصغّر من شأن المغيرة، ويقلل من مكانته،فأين هو من زعارة قيس وحلم ثقيف وقد عرف بضآلة مقامه وفراره عند المنازلات، فتعجب الإمام عليه السلام مثّل حجّة قوية على الخصم، وهو بهذا يثبت لِمَ الإمام علي عليه السلام لم يأخذ بنصيحته، وأدت إلى نتيجة مهمة وهي الاعتراف ولو ضمنياً بأحقية الإمام الحسن عليه السلام بالفخر ولا حق للآخرين بذلك.

ثالثاً: الروابط الحجاجية

١) **واو العطف**: تعمل واو العطف على ربط وترتيب الحجج ووصل بعضها ببعضها الآخر،بل ان توظيفها يقوي كل حجة بالحجة الأخرى[٦٦]. وقد وظفها الإمام عليه السلام في الاحتجاج على من لم يعف حقه ومنزلته، قال: ((**أيها الناس إن الله اختارنا لنفسه، وارتضانا لدينه، واصطفانا على خلقه، وأنزل علينا كتابه ووحيه، وأيم الله لا ينقصنا أحد من حقنا شيئا إلا انتقصه الله من حقه في عاجل دنياه وآخرته، ولا يكون علينا دولة إلا كانت لنا العاقبة**))[٦٧]. فالواو عملت على ربط مجموعة من الحجج وهي:

- ان الله اختارنا لنفسه
- وارتضانا لدينه
- واصطفانا على خلقه
- وانزل علينا كتابه ووحيه

كلها حجج تؤدي إلى نتيجة واحدة وهي ان منزلة اهل البيت عند الله كبيرة، وهم مخصوصون بالطاعة والولاية فمن نقص من حقنا شيئاً انتقصه الله في الدنيا والآخرة.

٢) حتى: وهي رابط حجاجي يعمد الخطيب إلى توظيفه،للربط بين مجموعة من الحجج التي تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة،أي انها –حتى– تخدم نتيجة واحدة، ومن ثمّ فإن الحجة التي ترد بعد حتى تكون هي الأقوى.(٦٨) ومن أمثلتها في خطب الإمام عليه السلام قوله في الحث على الجهاد: ((**فلستم أيها الناس نائلين ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون، إنه بلغني أن معاوية بلغه أنا كنا أزمعنا على المسير إليه فتحرك لذلك، فاخرجوا رحمكم الله إلى معسكركم بالنخيلة، حتى ننظر وتنظرون، ونرى وترون**))(٦٩). فالإمام عليه السلام يلقي الحجة على من بايعه، فان كان صادقاً كان مطيعاً لقوله متمسكاً به مهما لاقى من عذاب، لذا جاءت الحجة تعليلية:

اخرجوا إلى معسكركم حتى ننظر وتنظرون ونرى وترون

فخروج الناس مع الإمام للجهاد تؤدي إلى نتيجة مهمة وهي إخلاص الناس وطاعتهم لابن رسول الله.

٣) لكن: وهي حرف استدراك «وهو أن تثبت لما بعدها حكما مخالفا لحكم ما قبلها ولذلك لا بد أن يتقدمها كلام مناقض لما بعدها»(٧٠). ومن أمثلتها في خطب الإمام عليه السلام ما قاله في وصف المتقين قال: ((**وانّ الله أوحى إلى داوود عليه السلام: قل لفلان الجبار: أني لم أبعثك لتجمع الدنيا على الدنيا، ولكن لترد عنّي دعوة المظلوم وتنصره، فانّي آليت على نفسي أن أنصره وأنتصر له ممّن ظُلم بحضرته ولم ينصره**))(٧٠). فالغاية من خلق من يتسم بالقوة والغلبة هو ان يكون سنداً للضعيف المظلوم،فأداة الربط لكن أثبتت الحكم الثاني وهو «لترد عني دعوة المظلوم وتنصره»، وبهذا نفت الحكم الأول وهو (اني لم أبعثك لتجمع الدنيا على الدنيا).

٤) **أدوات التوكيد:** التوكيد هو عملية إثبات المعنى في النفس إذ ان «التأكيد تمكين الشيء في النفس وتقوية أمره وفائدته إزالة الشكوك،وإماطة الشبهات عما أنت بصدده،وهو دقيق المأخذ كثير الفوائد»(٧١).

ومن أدوات التوكيد التي وظفها الإمام عليه السلام (ان، والقسم، ونون التوكيد)، وقد وردت جميعها في قوله: ((**ان الله لم يبعث نبياً إلا اختار له نفساً ورهطاً وبيتاً، والذي بعث محمداً بالحقِّ لا ينقص أحد من حقِّنا إلا نقصه الله من علمه،ولا يكون علينا إلا كانت لنا عاقبة،ولتعلمن نبأه بعد حين**))(٧٢). احتج الإمام عليه السلام على الناس بأن الخلافة أمر رباني ليس بيد احد تغييره وان حاول احد تغييره،فسينال وبال ذلك، وقد جاءت حجته مؤكدة بأدوات التوكيد (ان، والقسم، ونون التوكيد)، فلا سبيل للشاك بعد هذا التوظيف من نكران ما جاء به الإمام عليه السلام من أدلة واضحة مؤكدة،أخرجت المتلقي من دائرة الشك واللبس إلى دائرة اليقين.

٥) **تقنية التكرار:** وهي من الروابط الحجاجية التي يعمد المتكلم على الإتيان بها من اجل تأكيد أطروحته التي ألقاها، فالتكرار المقصود هنا هو «التكرار المبدع الذي يدخل ضمن عملية البناء أوصد الكلام، انه التكرار الذي يسمح لنا بتوليد بنيات لغوية جديدة... وهو أيضاً التكرار الذي يضمن انسجام النص وتوالده وتناميه»(٧٣).

ويعد التقرير من أهم أغراض التكرار لذا قيل «الكلام إذا تكرر تقرر»(٧٤)، ومثالها في خطب الإمام عليه السلام قوله في بيان نسبه: ((**أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فسأبين له نفسي، بلدي مكة ومنى، وأنا ابن المروة والصفا، وأنا ابن النبي المصطفى، وأنا ابن من علا الجبال الرواسي، وأنا ابن من كسا محاسن وجهه الحيا، أنا ابن فاطمة سيدة النساء، أنا ابن عديمات العيوب، نقيات الجيوب**))(٧٥). ما

يلاحظ ان تكرار الإمام عليه السلام لجملة (أنا ابن)، محددا مكان ونسب من ينتمي إليهم ليقطع الشك على من حاول ان يتوهم ان الإمام عليه السلام لا ينتمي إلى سادات العرب وأشرافها، فالتكرار جاء لتأكيد حجته وإقرارها في النفس.

... الخاتمة ...

١. لم يقتصر الإمام عليه السلام في حجاجه على غاية محددة، وانما جاءت حججه لغايات عدة فتارة تكون أخلاقية قصده منها الوعظ والإرشاد، وأخرى سياسية قصده منها إثبات منزلته من رسول الله صلى الله عليه وآله وأحقيته بالخلافة.

٢. وظف الإمام عليه السلام الآليات الحجاجية المنطقية وشبه المنطقية، وكذلك الآليات البلاغية، والروابط الحجاجية، لتقوية حججه و تعزيزها، ولأن تلك الأساليب لها أثرها الفاعل في إيضاح الدلالة، وتصويرها بشكل حسي، يكون أقرب إلى الأذهان وبذلك يحقق الغاية المبتغاة من الحجاج.

٣. ومن يتمعن في قراءة تلك الحجج يجد ان غاية الإمام عليه السلام منها تمثل -على الرغم من كل ما عاناه من عذاب وخذلان- في إخراج الناس من دائرة التيه والضلال واللبس الذي وقعوا فيه،نتيجة للأجواء المشبعة بالافتراءات والكذب والتضليل إلى دائرة الحق الصواب الذي لاشك فيه.

٤. عمل الاستدلال العقلي على تحريك الذهن وتشويقه نحو معرفة الغاية الأساسية من حجج الإمام عليه السلام، لذا نجد ان إفحامه لخصمه وإقرارهم بتلك الحجج ما هو الا دليل واضح على عدم مقدرتهم نكران ما استند إلى العقل والمنطق.

١. العين، الخليل بن أحمد،تح:مهدي المخزومي،وإبراهيم السامرائي ،مؤسسة الميلاد،قم،ط١، ١٤١٤هـ:مادة(حجج).
٢. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر ، بيروت، ط١، ١٩٩٠:مادة (حجج).
٣. الفروق اللغوية،ابو هلال العسكري،دار الآفاق الجديدة،بيروت،ط١، ١٩٧٣: ١/ ١٢٢.
٤. منهاج البلغاء وسراج الأدباء،حازم القرطاجني، تح:محمد الحبيب ابن الخوجة ،دار الكتب الشرقية،تونس،١٩٦٦: ٦٣
٥. كتاب التعريفات،الشريف الجرجاني،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،١٩٨٣: ١ / ٨٢.
٦. المنهاج في ترتيب الحجاج، ابو الوليد الباجي، تح:عبد المجيد تركي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط٣، ٢٠٠٠ : ٨.
٧. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د.طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط١، ١٩٩٨: ٢١٣.
٨. المصدر نفسه:٢٢٦.
٩. استرتيجيات الخطاب ، مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت،ط١ ،٢٠٠٣: ٤٥٦.
١٠. الحجاج في كتاب الإمتاع والمؤانسة، حسين بوبلوطة، رسالة ماجستير، كلية الآداب الجزائر، ٢٠١٠: ٩٩.
١١. ينظر:في بلاغة الخطاب الاقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية الخطابة في القرن الأول نموذجا،د.محمد العمري،أفريقيا الشرق،المغرب،ط٢، ٢٠٠٢: ٧١.
١٢. بلاغة الإقناع. قراءة حجاجية في خطب الإمام الحسين عليه السلام، رائد حاكم الكعبي، العميد مجلة فصلية محكمة، س٣،م٣،ع١،آذار ٢٠١٤: ٢٨.
١٣. بحار الأنوار،العلامة المجلسي،مؤسسة الوفاء،بيروت،لبنان،١٤٠٣ هـ:٣٢\٨٩،وللاستزادة ينظر الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه،أ.د.سامية الدريدي،عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن،ط٢، ٢٠١١: ١٩٢.
١٤. نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة،الشيخ محمد باقر المحمودي،نجف،ط١، ١٩٦٨: ٤/ ٥٣.
١٥. ينظر:الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه:٢٠٣
١٦. الحجاج في البلاغة المعاصرة ،بحث في بلاغة النقد المعاصر،د.محمد سالم محمد الأمين الطلبة، دار الكتاب الجديد المتحدة،ط١ ،٢٠٠٨: ١٢٩
١٧. ينظر:المصدر نفسه:١٢٩

١٨. بحار الأنوار:٤٣/ ٣٥٨.
١٩. ينظر:المنطق الفطري في القرآن الكريم،محمود يعقوبي،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ت):١٠٧.
٢٠. اثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، أبو الحسن المسعودي الهذلي،دار الأضواء، بيروت ، لبنان،ط٢، ١٦٨:١٩٨٨.
٢١. الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه:٢١٠.
٢٢. ينظر :المصدر نفسه:٢١٠-٢١١.
٢٣. الخرايج والجرايح،الراوندي ،النجف ،الحيدرية،١٣٧٦: ٢/ ٥٧٤،واثبات الوصية:١٦٨.
٢٤. الحجاج في النص القرآني سورة الأنبياء انموذجا،إيمان درنوني،رسالة ماجستير،كلية الآداب واللغات،جامعة الحاج لخضر-باتنة، ٢٠١٣: ١٤٣.
٢٥. بحار الأنوار: ٣٦١\٤٣.
٢٦. في بلاغة الخطاب الاقناعي:٩٠.
٢٧. تحف العقول،ابن شعبة الحراني،منشورات الشريف الرضي ،قم المقدسة،ط٢ ، ١٤٠٤هـ: ٢٢٧
٢٨. بحار الأنوار:١٠٠\٢٣،.
٢٩. النجم:٥٣.
٣٠. ينابيع المودة ابن خواجة الحسيني البلخي القندوزي، تصحيح:علاء الدين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٧: ٥٣٩، وقد وردت في بحار الأنوارمن دون لفظة المودة: ٧٥/ ٣٧٦.
٣١. ينظر :بحار الأنوار:٤٤/ ٢ ،وينظر:ينابيع المودة،: ١/ ٥٣٩
٣٢. بحار الأنوار:١٩٠\٣٣.
٣٣. ينظر:في بلاغة الخطاب الاقناعي :٩١.
٣٤. بحار الأنوار:٩٢\٤٤،وينظر:ينابيع المودة:٥٣٩\١.
٣٥. مناهج الجدل في القرآن ، زاهر عواض الألمعي،مطابع الفرزدق التجارية:٧٢
٣٦. بحار الأنوار:٤٤/ ١٢٢.
٣٧. ينظر:بلاغة الاقناع..قراءة حجاجية في خطب الإمام الحسين عليه السلام: ٣٤.
٣٨. ينظر:المنطق الفطري في القرآن الكريم:٩٥.
٣٩. بحار الأنوار:١٠٩\٧٥.
٤٠. بحار الأنوار:٤٤/ ٢٢.
٤١. كتاب التعريفات:١/ ٩١.

٤٢. صبح الاعشى في صناعة الانشا،احمد بن علي القلقشندي، تح: د.يوسف علي الطويل، دار الفكر، دمشق،ط١، ١٩٨٧ : ١/ ٢٥٩.

٤٣. بلاغة الاقناع..قراءة حجاجية في خطب الإمام الحسين عليه السلام :٤٠-٤١.

٤٤. ينظر:عندما نتواصل نتغير،مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج،عبد السلام عشير،أفريقيا الشرق،المغرب،٢٠٠٦: ٩٤

٤٥. بحار الأنوار:١٠\١٤١.

٤٦. الفوائد المشوق إلى علوم القرآن والبيان،ابن قيم الجوزيه،دار مكتبة الهلال،بيروت ،١٩٨٧ :١٩٣.

٤٧. البرهان في علوم القرآن ، الزركشي، تح:محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، (د.ط)،١٣٩١هـ :٣/ ٥٢٤.

٤٨. المصدر نفسه:٣/ ٥٢٤.

٤٩. بحار الأنوار:٤٤/ ٢٢.

٥٠. ينظر:الحجاج في الشعر العربي:١٢١.

٥١. ينظر: اللغة والحجاج،د.أبو بكر العزاوي،الدار البيضاء،ط١ ،٢٠٠٦: ١٠٨.

٥٢. المحاسن والأضداد،الجاحظ،تح:فوزي عطوي،دار صعب،ط١ ، ١٩٦٩: ٨١.

٥٣. استراتيجيات الخطاب:٣٥٢.

٥٤. ينظر: البيان الحجاجي في إعجاز القرآن الكريم، سورة الأنبياء نموذجاً، مجلة التراث العربي، ع١٠٢ ، نيسان، ٢٠٠٦: ٩٢.

٥٥. الإيضاح في علوم البلاغة،الخطيب القزويني،دار احياء العلوم،بيروت،ط٤، ١٩٩٨: ١٣٧.

٥٦. المحاسن والأضداد:٨١.

٥٧. الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري،تح:محمد ابراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، (د.ط)، (د.ت): ١٤٨.

٥٨. المحاسن والأضداد: ٨١.

٥٩. ينظر: البرهان في علوم القرآن:٢ / ٣٣١، وينظر: البلاغة العربية ، أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، دار القلم، دمشق،ط١، ١٩٦٦:٢٧٥.

٦٠. العدد القوية في دفع المخاوف اليومية:٤٠.

٦١. البلاغة الاصطلاحية، عبدة عبد العزيز قلقيلة دار الفكر العربي القاهرة، ط١، ١٩٨٩: ١٥٦.

٦٢. الاحتجاج،الشيخ الطبرسي،مشهد المقدسة،ط٢، ١٤١٣: ١/ ٤٠١.

٦٣. الاحتجاج:١/ ٤٠١.

٦٤. بحار الأنوار:٤٤/ ٩٣.

٦٥. ينظر:استراتيجيات الخطاب:٤٧٢.
٦٦. بحار الأنوار:٤٣/ ٣٥٥.
٦٧. ينظر:اللغة والحجاج:٧٣.
٦٨. بحار الأنوار:٤٤/ ٣١.
٦٩. المعجم الوسيط،إبراهيم مصطفى وآخرون،تح:مجمع اللغة العربية:٢/ ٥٩٢.
٧٠. إرشاد القلوب للديلمي،تح: هاشم الميلاني، دار أسوة قم المقدسة،ط١، ١٤١٧هـ: ١/ ١٥٧.
٧١. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز،ابن العلوي،دار الكتب العلمية،بيروت،١٩٨٢: ٢/ ١٧٦.
٧٢. العدد القوية:٣٨، وبحار الأنوار:٤٣/ ٣٥٠.
٧٣. اللغة الحجاج:٤٨.
٧٤. البرهان في علوم القرآن:٣/ ١٠.
٧٥. بحار الأنوار:٤٣/ ٣٥٦.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. اثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، أبو الحسن المسعودي الهذلي، دار الأضواء، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٨.

٢. الاحتجاج، الشيخ الطبرسي، مشهد المقدسة، ط٢، ١٤١٣.

٣. إرشاد القلوب للديلمي، تح: هاشم الميلاني، دار أسوة قم المقدسة، ط١، ١٤١٧هـ.

٤. استرتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠٠٣.

٥. الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، دار احياء العلوم، بيروت، ط٤، ١٩٩٨.

٦. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان ١٤٠٣هـ.

٧. البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت (د.ط) ١٣٩١هـ

٨. البلاغة الاصطلاحية، عبدة عبد العزيز قلقيلة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٩٨٩.

٩. بلاغة الإقناع، قراءة حجاجية في خطب الإمام الحسين عليه السلام، رائد حاكم الكعبي، العميد: مجلة فصلية محكمة، س٣، م٣، ع١، آذار ٢٠١٤.

١٠. البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٦٦.

١١. البيان الحجاجي في إعجاز القرآن الكريم، سورة الأنبياء نموذجاً، مجلة التراث العربي، ع١٠٢، نيسان ٢٠٠٦.

١٢. تحف العقول، ابن شعبة الحراني، منشورات الشريف الرضي، قم المقدسة، ط٢، ١٤٠٤هـ.

١٣. الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، د.محمد سالم محمد الأمين الطلبة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠٠٨.

١٤. الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، أ.د.سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط٢، ٢٠١١.

١٥. الحجاج في النص القرآني سورة الأنبياء انموذجا، إيمان درنوني، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات،جامعة الحاج لخضر، باتنة، ٢٠١٣.

١٦. الحجاج في كتاب الإمتاع والمؤانسة، حسين بوبلوطة، رسالة ماجستير، كلية الآداب الجزائر، ٢٠١٠.

١٧. الخرايج والجرايح، الراوندي، النجف، الحيدرية ١٣٧٦: ٢/ ٥٧٤ واثبات الوصية.

١٨. صبح الاعشى في صناعة الانشا، احمد بن علي القلقشندي، تح:د.يوسف علي الطويل، دار الفكر، ط١ دمشق١٩٨٧.
١٩. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ابن العلوي، دار الكتب العلمية، بيروت١٩٨٢.
٢٠. عندما نتواصل نتغير، مقاربة تداولية معرفية لاليات التواصل والحجاج، عبد السلام عشير، افريقيا الشرق، المغرب٢٠٠٦.
٢١. العين، الخليل بن أحمد، تح: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، مؤسسة الميلاد، قم، ط١، ١٤١٤هـ.
٢٢. الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تح: محمد ابراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).
٢٣. الفروق اللغوية، ابو هلال العسكري، دار الآفاق الجديدة، ط١ بيروت١٩٧٣.
٢٤. الفوائد المشوق إلى علوم القرآن والبيان، ابن قيم الجوزيه، دار مكتبة الهلال، بيروت١٩٨٧.
٢٥. في بلاغة الخطاب الاقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية الخطابة في القرن الأول نموذجا، د.محمد العمري، أفريقيا الشرق، المغرب، ط٢، ٢٠٠٢.
٢٦. كتاب التعريفات، الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان١٩٨٣.
٢٧. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٠.
٢٨. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د.طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط١، ١٩٩٨.
٢٩. اللغة والحجاج، د.أبو بكر العزاوي، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٦.
٣٠. المحاسن والأضداد، الجاحظ، تح: فوزي عطوي، دار صعب، ط١، ١٩٦٩.
٣١. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، تح: مجمع اللغة العربية.
٣٢. مناهج الجدل في القرآن، زاهر عواض الألمعي، مطابع الفرزدق التجارية.
٣٣. المنطق الفطري في القرآن الكريم، محمود يعقوبي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ت).
٣٤. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني تح: محمد الحبيب ابن الخوجة دار الكتب الشرقية، تونس١٩٦٦.
٣٥. المنهاج في ترتيب الحجاج، ابو الوليد الباجي، تح: عبد المجيد تركي، دار الغرب الاسلامي، ط٣، لبنان٢٠٠٠.
٣٦. نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، الشيخ محمد باقر المحمودي، نجف، ط١، ١٩٦٨.
٣٧. ينابيع المودة: ابن خواجة الحسيني البلخي القندوزي، تصحيح: علاء الدين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١، لبنان١٩٩٧.